مدير أمن الدولة: نتابع الملف منذ 4 اشهر

لم يكد يُعلن عن توقيف الممثل المسرحي زياد عيتاني بشبهة التعامل مع العدو الإسرائيلي حتى انبرى عدد من السياسيين والإعلاميين والناشطين الفايسبوكيين للدفاع عن الموقوف وشنّ هجوم على جهاز أمن الدولة. ومِن خلفه صوبوا السهام على الأجهزة الأمنية والقضائية معاً لـ «تتفيه» عمل هذه الأجهزة. لم يفسح هؤلاء المجال لانتهاء التحقيق وسارعوا إلى إصدار الأحكام لتثبيت تبرئته، في مقابل آخرين عمدوا مباشرة إلى إدانة الموقوف، رغم أن الرواية الامنية لا تزال تعتريها بعض الثغر التي لا يمكن سدها إلا باستكمال التحقيق مع عيتاني. وهذا التحقيق لا يزال في بدايته، ويحتاج إلى مزيد من الوقت لتنجلي الصورة. من هاجم الجهاز الأمني ودافع عن الموقوف لا يملك أي دليل، فيما الطرف الآخر كان يستند إلى البيان الصادر عن المديرية العامة لأمن الدولة الذي أكّد الخبر. إلّا أنّ الأجدر كان التريّث وتشجيع المديرية العامة لامن الدولة على المضي في عملها، بإشراف القضاء. وفي اتصال مع «الأخبار»، قال المدير العام لأمن الدولة اللواء طوني صليبا: «بدأنا بمتابعة الملف منذ أربعة أشهر مع فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي، كان هناك تنافس إيجابي وتمكّنا من الإمساك بطرف الخيط الذي أوصلنا إلى المشتبه فيه ولم نقم بتوقيفه إلا بعد موافقة وإشارة القضاء المتمثل بمفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية القاضي بيتر جرمانوس». وأبدى صليبا استغرابه من «ردّ فعل بعض الإعلاميين والسياسيين الذين هاجموا المديرية دفاعاً عن المشتبه فيه الذي كان قد اعترف بعلاقته بالعدو الإسرائيلي». وسأل صليبا: «هل يتوقع أحد في الدنيا أن يأتي عميل ليقول أنا عميل أو يخرج علانية ليُدافع عن اسرائيل؟ من الطبيعي أن يكون مختبئاً ومدعياً عكس ما هو عليه»، كاشفاً أنّه بصدد عقد مؤتمر صحفي نهار الثلاثاء للحديث عن القضية بعد ختم الملف.

الحق في أن تحافظ على أمنها، ونحن لدينا الحق في أن نحافظ على استقرارنا وأمننا أيضاً». وجاء كلام الحريري خلال استقباله مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان على رأس وفد كبير من مفتي المناطق والمحافظات، فلفت إلى أن «خيار التريّث يتيح في مكان ما فرصة لجميع الأفرقاء السياسيين للتأكّد من أنّ النأي بالنفس عن كل ما يحصل من حولنا هو السياسة الأساسية التي تحمي لبنان من أيّ مشاكل في المنطقة». وفي أول ذكر للمملكة العربية السعودية منذ عودته، أكد «أننا نريد أفضل العلاقات مع المملكة، وخصوصاً أنكم تعلمون ما قدّمته وتقدّمه للبنان». هذا الهدوء في إطلاق المواقف انسحب على تصريحات دائرة الرئيس الحريري الضيقة، حيث أكد الوزير السابق غطاس خوري، في حديث تلفزيوني أمس، أن «خطابات الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله كانت تتمتع بالهدوء وتفتح مجالاً للتفاهم، وهذا إيجابي، والعبرة في التنفيذ».

وفيما أشار إلى أن «الحريري عاش تجربة صعبة، مرة وقاسية»، أكد أن «له الحق في أن يقوم بمراجعة من حوله وبتغييرات قد تشمل قريبين وبعيدين عنه». وأشاد خوري بمواقف وزير الداخلية نهاد المشنوق الذي «كان من أول المتصدين لغياب الحريري، ووقف معنا بكل محبة، وأكد دعمه في مساره».

وقد كان لافتاً أمس تعليق ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، للمرة الأولى، على استقالة الحريري منذ بداية الأزمة. ففي حوار مع صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية، قال إنه «يفضّل عدم مناقشة» أزمة رئيس الحكومة اللبنانية، مضيفاً أن «القضية تتمحور حول أن الحريري لن يستمر في توفير غطاء سياسي للحكومة اللبنانية، التي تخضع بشكل رئيسي لسيطرة حزب الله وطهران».

وفي موازاة ذلك، شدّد الرئيس عون على «أننا تمكنّا من تجاوز الأزمة، واستطعنا إعادة الأمور الى طبيعتها في فترة قصيرة، نتيجة الوحدة الوطنية»، داعياً إلى «عدم الخوف، فما من أزمات إلا وستُحل وفق مصلحة لبنان، ولن يؤثر علينا أحد في كل ما يتعلق بسيادتنا واستقلالنا طالما نغلّب مصلحة لبنان على ما عداها». وكان لافتاً أن عون كلّف وزير الدفاع يعقوب الصراف بالمشاركة في مؤتمر وزراء دفاع التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب في الرياض، شاكراً الملك سلمان بن عبد العزيز على الدعوة، قبل أن يعود عون ويطلب من الصراف إلغاء مشاركته، من دون معرفة الأسباب.

ابراهيم الأمين

أن تكون قوياً

كل مفاجأة سلبية للعدو هي مفاجأة إيجابية لنا. هذه قاعدة تحكم منطق المواجهة مع عواهر الجزيرة، أولئك الذين لا يقيمون وزناً لكرامة، حتى أقرب الأقربين، من واصلي الرحم ونسب الدم وحرمة أهل البيت وخالطي الخبز بعرق الأيام.

في محنة سعد الحريري الأخيرة، صدم مجنون السعودية بأمور كثيرة، ليس أولها صمود الحريري نفسه في سجنه المتنقل براً وجواً، ورفضه الأخذ بكل ما يطلب منه، من إشعال فتنة في لبنان الى تنازل قهري لأخيه المهاجر، وجعل من صمد معه من أهل بيته في لبنان يقوون على مواجهة الضغوط ويتحملون غدر أهل الدار، وينجحون في حفظ توازنهم، وترك العقل يسيطر على مشاعر القلق والغضب. وربما سيأتي يوم تروى فيه حكاية «ليالي الرياض الحزينة» بكل فصولها. لكن صمود الحريري كان مدخلاً رئيسياً لكل من أفشل محاولة انقلاب آل سعود في لبنان.

لكن الصدمة الأكبر في أن لبنان قدم نموذجاً جديداً عن

> **متى اجتمع عنده الحق والمنطق صار، كما يسميه السيد نصرالله، جبلا لا تثنيه عواصف**

المفاجآت، أولاها وأقواها وأكثرها وضوحاً وتأثيراً، كانت، بالنسبة إلى مجانين الجزيرة، ما قام به رجل اسمه ميشال عون الذي كان في عداد المغضوب عليهم عند حكام الجزيرة، ثم صار عدواً مطلوباً رأسه في كل لحظة. وإذا كان هؤلاء لن يتوقفوا عن مطاردة سعد الحريري حتى إطاحته، أو العمل لبناء رجل على هيئة بهاء أو غيره ، فإنهم سيسعون بكل ما أوتوا لإطاحة رئيس الجمهورية، ليس بتهمة أنه لم يقدم الولاء لهم يوماً، وليس بتهمة أنه يقف الى جانب المقاومة، وليس بتهمة أنه رفض الانجرار خلفهم في خريف سمّوه ربيعاً عربياً، بل لأنه سحب من قلب حنجرتهم لقمة الحريري التي كانوا يلتهمونها.

عون قبل ربع قرن، وعون قبل عشر سنوات، وعون قبل أقل من سنة، وعون قبل أشهر قليلة، هو نفسه الرجل الذي تسيطر عليه قيمه. أخطاء السياسة والتقدير لا علاقة لها بصلابة الرجل. ومتى اجتمع عنده الحق والمنطق صار، كما يسميه السيد حسن نصرالله، جبلاً لا تثنيه عواصف ولا يهزّه تهويل. والذي لا يعرف عون منذ تصدّيه للمسؤولية العامة، لا يعرف حجم تطور الرجل، علماً ومعرفة وخبرة وحكمة. وهو الذي يجيد التمييز بين الخصومة السياسية وما يسميه الشأن الوطني. لم يكن وقوف عون ضد الاتفاق الأميركي – السعودي – السوري في تسعينيات القرن الماضي وقوفاً عادياً. ولما عاد الى بيروت، تعرّف الناس على ثبات موقعه عند جمهوره الذي ثبّته الزعيم الأكثر شرعية عند المسيحيين. وعندما شاهد آخر الجنود السوريين يغادر لبنان، لم يحتج الى من يدله على أن بناء الدول لا يمنع المصالحات والتسويات من دون ذل. ولما وقف الى جانب المقاومة في عام 2006، لم تكن إلا شهور قليلة قد مرت على تفاهمه مع حزب الله. لكنه لم يقف على خاطر قريب أو بعيد، صديق أو عدو، وظل يقاتل الى جانب المقاومة حتى حققت انتصاراً كان من القليلين الذين رأوه محققاً في الايام الاولى للحرب. وعندما قرر الترشح لرئاسة الجمهورية، لم يكن يتنازل وهو يفتح الابواب والأذرع لتسويات مع ممثلي بقية اللبنانيين الذين يريد أن يكون رئيسهم. لم تكن مشكلته مع تيار آل الحريري أكبر من مشكلته مع «القوات اللبنانية» وشلة 14 آذار. ولكنه، كان مستعداً دوماً لتحقيق التسوية الممكنة. وهو ما حصل عند انتخابه رئيساً للجمهورية. فلا هو تنازل عن نظرته الى الواقع العربي، ولم يتراجع عن اقتناعه بالمقاومة ودور سلاحها، ولا هو صار رقماً مهملاً، كما كثيرون لا أثر لهم أثناء مغادرتهم قصر بعبدا وبعدها.

لذلك، لم يكن ممكناً لميشال عون أن يقبل بما حصل مع سعد الحريري. ولولا خشية عائلة الحريري على سلامته من أي تصعيد، لكان ميشال عون قال الكلام الحقيقي من اللحظة الاولى، وهو الذي أتيح له الاطلاع على كل تفصيل ممكن حول حقيقة ما يحصل في الرياض. ومع ذلك، حرص عون على وضع برنامج زمني لتصعيد موقفه، ولم يكن يخاف الذهاب الى الأمم المتحدة شاكياً السعودية التي تخطف رئيس الحكومة.

خلال أسبوعين متواصلين، لم يترك عون عنواناً في لبنان أو خارجه إلا قصده بحثاً عن آلية تجبر السعودية على إطلاق الحريري. وبينما كان بعض حلفاء الحريري أو الغادرين به ينظّرون لإبقائه قيد الاحتجاز، والسير في مشروع الفتنة السعودية، كان عون، بنبل قلّ نظيره، يضع جانباً كل تباين أو خلاف مع الرجل أو الآخرين. وكان يزيح من على مكتبه كل الملفات على أنواعها. وكان ينام ويستيقظ على عنوان واحد، وعلى مهمة واحدة: فكّ أسر الحريري مدخل إلزامي لحماية لبنان!

هي من المرات النادرة التي يرى فيها اللبنانيون رئيساً بهذا الحجم. حتى أعتى خصومه، والحاقدين عليه، اضطروا الى الصمت وكتم غيظهم، بينما كان أهل الفتنة يعملون على إطلاق حملة ضد عون، وهم محقّون في ما تثبّتوا منه، وهو أن عون صار غطاءً لكل لبنان.

أن تكون قوياً اليوم، بما يكفي لحفظ كرامتك وحريتك، وبما يكفي لحفظ مكانتك وحقك في الدفاع عن نفسك، من دون أن تكون عرضة لابتزاز أو إذلال، فهذا يعني أن تكون منتمياً الى عهد ميشال عون.

في العهد العباسي، ضاق الحاكم أبو جعفر المنصور ذرعاً بعدم موالاته من قبل سادس الأئمة عند الشيعة جعفر الصادق فأرسل له : «لِمَ لا تغشانا (تأتينا) كسائر الناس؟»، فأجابه: «ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له».